مقامات يحيى بن ماري

هو يحيى ابو العباس بن سعيد بن ماري المتوفى سنة ٥٨٩ للهجرة (١١٩٣ للميلاد) بعد وفاة الحريري بنحو سنتين سنة. ذكرهُ ابن العبري في كتابهِ سلسلة العرب وقال انهُ كان مقدماً عند الخليفة الناصر لغزارة علمهِ وقال في كتابهِ مختصر الدول وفي هذه السنة (٥٨٩) توفي يحيى ابن سعيد بن ماري الطبيب النصراني صاحب المقامات التي صنفها واحسن فيها وكان فاضلاً في علوم الاوائل وعلم العربية والشعر يرتزق بالطب ومن شعرهِ في الشيب

نفرت هند من طلائع شيبي واعترتها سآمة من وجومي
هكذا عادة الشياطين ان ينفر ن اذا ما بدت نجوم الرجوم

وقال القفطي في اخبار الحكماء «هو يحيى بن سعيد بن ماري ابو العباس الطبيب النصراني المعروف بالمسيحي صاحب المقامات الستين عالم بالطب والادب يطلب بمدينة البصرة في زماننا ادركنا من روى عنهُ فمن روى عنهُ عن ادركناهُ ابو حامد محمد بن محمد بن حامد ابن آلة الاصفهاني العماد رحمهُ الله ورأينا من الرواة عنهُ البصري المعلم الحصني وكان يروي عنهُ مقاماتهِ وكان للمسيحي هذا معرفة بالادب صادقة وربما امتدح بالشعر اجلاَّء الواردين على البصرة وكان اصلهُ من الطيب من موضع يقال لهُ الدوير وكان فاضلاً في علم الاوائل وعلم العربية والشعر يرتزق بالطب والانشاء وصنف المقامات الستين واحسن فيها وكان ابوهُ قد تنقل عن الدوير الى البصرة واولد ولدهُ هذا بها. وتوفي ابو العباس يحيى بن سعيد بالبصرة لعشر بقين من شهر رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة »

ويقال ان ليس من مقاماتهِ الآن الاَّ ثلاث نسخ فقط واحدة في الموصل وواحدة في بغداد وواحدة في اوربا. وقد اتحفنا صاحب النسخة الموصلية بمقامة منها وهي الثامنة والعشرون فآثرنا نشرها للدلالة على اسلوب الكتَّاب في عصرهِ ولاسيما كتَّاب النصرانية

المقامة الثامنة والعشرون

قال يحيى بن سلاَّم ما زالت الايام تحملني على غاربها [1] وتدحو [2] بي في مشارق الارض ومغاربها. حتى كأني قِمدة [3] البعاد ومحل صعبها والعناد. وكنت على تصرُّف الزمان وعدوانهِ. أُرقِّهُ الخاطر بزخارف ابي عمرو وبيانهِ. واتحذ الفكر. بفنهِ المبتكر. وبقيت مدة لا القاهُ. ولا اشعر اين مهبطهُ ومرتقاهُ. فتداخلني لبعدهِ ما يعجز عن عدهِ

(١) الكاهل او اعلى الموج (٢) تدفع (٣) اسم نوع من قمد

وخامرني لشموع[٤] تارّج[٥] نشره · ما يتقهقر الغيطن عن نشره · فملكتني في طلبه الحيّره[٦] · وقد حللتُ حمى الخيره[٦] · فطفقت اتسم انباءهُ من الرّواد · واعيان انوراد · حتى وقف بي الاستخبار · على وادٍ محشود الاقطار · وفي بهوته[٧] شخص بادي الاملاق · يرضّع الدر بلسان ملاق · وهو يقول يا اولي الافكار · كونوا في الدنيا كالاطيار · لا تزرع ولا تحصد · ولا لطليمة[٨] رزق ترصد · ولا تمدُّ لتصيد اشطانا[٩] · تغدو خماصًا وتروح بطانا[١٠] · فالليب من ترك الحرص والطمع · ورضي بالنزر واقتنع · وقهر النفس قهر الاعداء · وجانب الشنع مجانبة الاعداء · وراقب الله مراقبة من رفض الهوى · وملك عنوان التقوى · ومنع المدقع[١١] بموجوده · وغمره بفائض جوده · فطوبى لمن هذّب جوهر قلبه · لمراضي ربه · وصفّى تبر فكره · بحمد الله وشكره · وطهّر رجاسة صدره · في سره وجهره · ورحض درن[١٢] ذنبه · وبدل اجاجه[١٣] بعذبه · فقد دنت القيامة · وما الدنيا بدار اقامة · ثم انشد

طوبى لمن لم يُقَدْ طوعًا لمعصيةٍ ... وظل في الخير[١٤] دخّالاً وخرّاجا
ومدَّ طوعًا لما يُرضي الاله نهًى ... مجانبًا كل من ماري[١٥] ومن داجى[١٦]
وصيّر الرفق بابًا في مطالبه ... وسنّ للزهد في دنياهُ منهاجا
وقابل الشر بالخيرات عن ورع ... وصاغ احسن تقريظ لمن هاجا
ولان حينًا لمن تقسو طبائعهُ ... وخفّض الصوت للعافي[١٧] اذا ناجى
فسيد القوم من اغضى على غضبٍ ... ولا يزال لضيق الخطب فرّاجا
ان الكريمَ الذي راقت موارده ... وعمّ بالجود من وافاهُ محتاجا
ولم يخالجهُ في الافضال معذرة ... وكان وبلاً على العافين ثجّاجا[١٨]
ولم تضمّ على وعدٍ انامله ... فكم أمانٍ وهت للطل[١٩] احداجا[٢٠]
فالرزق يأتي ولو قرّت في طلب ... ولو تعاطيت تأويبًا[٢١] وادلاجا[٢٢]

---

(٤) بعد (٥) تارج من ارج فاح (٦) الحيره مدينة كانت بسابور غرب الكوفة (٧) وسط (٨) مقدمة الجيش (٩) حبال طوال (١٠) ما اتى في الحديث يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانا اي تذهب في الصباح جياعًا · وتعود في المساء ممتلئة البطون (١١) المتصق بالتراب الملزول (١٢) وسخ (١٣) الماء الملح (١٤) حي (١٥) خاصم (١٦) نازع (١٧) المحتاج طالب الرزق (١٨) المطر السيال الشديد الانصباب (١٩) السوف في الوعد (٢٠) الاحمال (٢١) السير في النهار (٢٢) السير في اول الليل

يا صاحب الفهم يا من فاق معرفة ومرّ في طُرُقِ التبيان إمجاجا[٣٣]
لا تركنن الى دهر فشيمتهُ ودأبهُ يدرج الاعمار ادراجا
واصبر اذا كنت في عيش تُسَرُّ بهِ لنازل الروع إزعاجاً وارهاجا
فما استقرت على الايام قاعدة الاّ تعاورها الاحداث إزعاجا
فاتخذ لأخراك ما كلّت مضاربهُ واركب لقطع فيافي الذنب هملاجا[٣٤]
ولا تميّل اذا ما رمت مأربةً فُدِمنْ الطرق ما ينفك ولاّجا
وساهل الناس لا تحزن اذا حزنوا ورُق اذا كفروا واقنع بما راجا
وعج على كل من بانت مرافقهُ مراعياً فوحيد المجد من عاجا
وبعض ما بي دليل انني رجلٌ رمى بي البين احداجا وامواجا
وابتزني من بلاد لم تزل غرضاً للمحنتين ومن فاجي ومن فاجا
قد كنتُ بين اناس كيفما رُصدوا يلفوا بدوراً وهالات وابراجا
من كل قرم اذا ما اظلمت سُبُلٌ للقصد صادفتَ نوراً منهُ وهاجا
فاليوم بُدّلت صُفراً من صلاتهم تبراً ومن دُرّ ما يعطون اخراجا
ومن كسانيَ ثوباً سوف أُلبسهُ من الثنا في الورى وشياً وديباجا
ومن تدارك ما بي من شجىً وجًى رأساً بأسمحهُ من منطقٍ تاجا

قال الراوي فحين بهر بالابيات . تحلّى بالصيحات . وبينما ادخل كل منهم يدهُ في وطابهِ . ثم مخهُ بسطائهِ ولطف خطابهِ . فحين احرز الصلات . طلب الانصلات فقمت اليهِ سائلاً . فرأيت وبلاً سائلاً . فحرت فيما نمقهُ وحلاهُ . فاستنبيت حلاهُ . فاذا بخب ابي عمرو وروائعه ومفوق نظمهِ ووشائعه . فقابلتهُ بوجه وقاح . وهجو صراح . وقلت أني كل وادٍ لك مكيده . ولي كل اناس تنشيه الاّ وعقيده . فقال لولا القصيده . ما لكت القصيده . وبثر الكلام . وصلت الى الطعام . لولا هزهم بين فارقت . ما جادرا ولو هرقتُ دم الوداجين وارقت . ثم كشف المداجاه . وقطع المناجاه . ومرّ ينشد

ايها الناصح دعني لست بالايام عارف
انما العارف من ينقدها نقد الصيارف

(٣٣) الطرفانُ في البلاد (٣٤) البرذون المحسن السير في سرعة